

خطاب صاحب الجلالة عند زيارته لمدينة الجديدة وتفقده للجرف الأصفر

الجديدة ــ وصل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني صباح اليوم إلى مدينة الجديدة قادماً إليها من آسفي عبر جمعة سحيم، وخميس الزمامرة، والجرف الأصفر.

وقد أنهى جلالة الملك جولته الرسمية بأقاليم آسفي والصويرة والجديدة بالاجتماع الذي ترأسه بمقر عمالة إقليم الجديدة والذي حضره عدد من أعضاء الحكومة، والهيآت المنتخبة.

وفي هذا الاجتماع ألقى صاحب الجلالة الخطاب التالي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة المنتخبين والممثلين لأقاليم الصويرة وآسفي والجديدة

إنني وأنا آت إلى هذه القاعة خطر ببالي بيت من الشعر نظمه ذلك التيار المقدس العاطفي الهياج الذي شعرت به منذ أن ابتدأت هذه الرحلة إلى يومنا هذا متأثراً بالحفاوة الشعبية التلقائية وبالمشاعر الجياشة التي كان لها أبلغ الأثر في نفسي، ولذلك انتظم ببالي ما يأتي :

فلو كان لي عمر وعمر وثالث لكانوا لكم بذلا وما أنا أبخل

فعلا، لو كان بالامكان أن يعيش الانسان أحقاباً وأحقاباً لكان الشعب المغربي جديراً بأن يصبح له خادمه ــ كيفما كان مستواه، ملكاً أو فلاحاً أو صانعاً ــ مملوكاً وعبداً ولو تكررت ما تكررت الحياة، ولو أعطاه الله حياة وحياة وحياة أخرى، ذلك لأن الشعب المغربي يظهر كل مرة ــ ولله الحمد ــ أنه جدير بكل مكرمة، وبكل تضحية، وإنه واع لكل نصيحة، ومتفهم لكل توجيه ونظرية، ومن الشعوب الحية، تلك الشعوب التي لا تكتسي فقط بالفهم ولو بنظرة عين، بل في بعض الأحيان يسبق الشعب المغربي ما يتصور في ذهن من ولاه الله أمره.

وهكذا يصبح الشعب والملك منذ التاريخ الأزلي القديم في سباق شريف نبيل، ذلك السباق الذي ذكر في القرآن وهو التسابق إلى الخير وإلى الخيرات « **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**» صدق الله العظيم.

هذا هو الرصيد، وهذا هو رأس المال، فإذا كنا قد استثمرناهما من الناحية المذهبية، ومن الناحية التربوية والوطنية فهل يا ترى كنا في مستوى هذا الرصيد من الناحية العملية ومن الناحية التطبيقية ومن الناحية المنتجة، تلك التي تجعل كل واحد منا ــ لا أقول ــ في اطمئنان، لأن الغرام والعاطفة لا يعرفان القناعة، ولكن تجعلنا في اطمئنان نسبي، وفي طمأنينة نسبية بالنسبة لعشرات السنين المقبلة ؟

وحينما أطرح هذا السؤال أعلم ما أقول جيداً، فإذا نحن نظرنا إلى اقليم الصويرة، واقليم آسفي، واقليم الجديدة، ماذا نرى ؟ أولا أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم من الناحية البشرية وذلك يظهر في القبائل تلك القبائل التي أراها مختلفة عن جارتها، ولكن منسجمة تماماً من حيث البيئة، ومن حيث الطموح، ومن حيث المعقول.

نرى إذن أن أقاليم الصويرة وآسفي والجديدة متكاملة، وحينما نحصي خيراتها، وحينما نبدأ بالفلاحة مثلا،



نرى بالتقريب أن هذه الأقاليم الثلاثة لها من أراضي البور ما يناهز تقريباً المليون و200 ألف هكتار، وإذا كنا على علم بأن المغرب كله له مساحة من الأراضي البور قدرها سبعة ملايين هكتار نرى إذن أن هذه الناحية الشاطئية وأؤكد هنا وأقول الشاطئية لها السبع من الأراضي البور.

وحينما نرى مقاييس المطر التي تنزل كل سنة ونعدها ونحصيها، نرى أن الله سبحانه وتعالى جعلكم في منطقة وسط من الأمطار، من الصويرة إلى الجديدة.

هذا إذن من جهة الأمطار وأراضي البور، وإذا نحن رأينا ما كلفنا تخطيطنا الفلاحي من عمل في بناء السدود وجر القنوات، نرى أن المساحة المسقية من شأنها أن تخلق عملاً مستمراً طيلة السنة.

وحينما ننتقل من ميدان الفلاحة إلى باب آخر من أبواب الفلاحة، نرى أن منطقتكم غنية بالمواشي على اختلافها، سواء الدواب التي ذكرها الله تعالى بحمل الأثقال، أو الماشية التي تعطينا من لحومها وألبانها.

وإذا رأينا أخيراً من الناحية الطبيعية وأضفناها إلى خيراتكم البحرية وجدنا الشيء الآتي :

الصويرة وآسفي غنيتان بالسمك، والجديدة غنية بكيفية استثنائية بنباتات البحر، وهكذا حتى في البحر نجد أن الله سبحانه وتعالى أعطى هذه الناحية الشاطئية من المغرب من الخيرات ما يجعلها تنظر إلى المستقبل في اطمئنان، وأكثر من المستقبل الغد، تنتظر الغد باطمئنان وسكينة.

فأمام هذه المعطيات الفلاحية فقط، ماذا قمنا به من عمل يرضي الله سبحانه وتعالى ؟ «ولئن شكرتم لأزيدنكم»، والمرء إذا لم يشكر النعمة تعرض لزوالها، وشكر النعمة هنا ليس الشكر بالفم والقلب، بل الشكر هو العمل، ولذلك أقول وأصرح بأن إرادتنا بكيفية مستمرة وحكوماتنا على التوالي لم تكن في مستوى معطيات الناحية، وجدية السكان، وسنخوض المعركة في «الأسابيع والسنين المقبلة لا ليبقى ما كان على ما كان، ولكن ليتحسن ما كان ويتقدم ويتطور.

أعتقد أن شيئاً من النقد الذاتي أصبح واجباً علينا، في جميع المستويات محلية كانت أو وطنية، لأن هنا بيدنا حقلا تتوفر لديه مائة في المائة وسائل النجاح في جميع التجارب.

ولننتقل إلى ناحية أخرى غير النواحي الفلاحية، فنرى أن اقليم الصويرة أصبح في السنوات الأخيرة من أفقر أقاليمنا، وذلك لأسباب متعددة منها سببان، هجرة اليهود الذين كانوا يعملون بالأخص في الصياغة، وبناء الطريق المباشرة بين أكادير ومراكش.

نجد أن الله سبحانه وتعالى وكأنه ينذرنا ويعاقبنا بلطافته المولوية فيجعلنا نجد الفوسفاط بكمية هائلة، «لا تقنطوا من رحمة الله».

وهكذا لنا مقدرات من الفوسفاط في ناحية الصويرة، تلك الناحية التي كنا نبحث صباح مساء عن وسائل لجلب الخير لها واسترجاعها نفسها ونضارتها وحياتها، فإذا بالله سبحانه وتعالى يقول «لا تقنطوا من رحمة الله» ها هو الفوسفاط، وإذا بنا نهتدي إلى عملية سميناها عملية القرن من الناحية التجارية ستجعل الناحية ضامنة لعشرة ملايير طن من الفوسفاط لمدة طويلة وطويلة جداً.

واستخراجنا للفوسفاط سيجعلنا نبنى سكة حديدية، ونبني ميناء، ونبني بنايات إما للعمل أو للسكن



وما يتفرع عن هذه العملية التي هي في آن واحد عملية اقتصادية وتجارية وصناعية وتكوينية من الناحية المهنية.

وإذا بالانسان يقفز قفزة واحدة فيجد نفسه في آسفي، آسفي وما وراءها من الناحية الفلاحية، وما وراءها من الشغالين، وما في بحرها من خيرات السمك، وما في وسط ذلك من منجزات كيماوية، لا يعرف حدودها إلا الله، إذ كل يوم يوم نجد أن كل ما استخرجناه من خير إلا وهدانا الله من الناحية التقنية والتكنولوجية إلى استخراج خير أكبر وأجل من الأول.

وهكذا سيصبح المغرب بفضل الله وعنايته من أهم الدول في الوزن العالمي، ذلك أنه بواسطة المركبات الكيماوية بآسفي، والأخرى التي ستنشأ في الصويرة، سيصبح مصدراً لطاقة من أثمن الطاقات، ألا وهي الأورانيوم.

وحينما كنا نضع الحجر الأساسي أمس البارحة للمعمل الأول الذي سيعطينا 600 طن من الأورانيوم ريثما نصل إلى 2200 طن سنوياً، كنا في آن وحد نحمد الله سبحانه وتعالى بصمت وتواضع، وكنا في آن واحد نكبر ونهلل ونفخر ونجر أذيال الفخار، لأن الله سبحانه وتعالى مكننا الآن من الناحية الطاقية من وسائل ماضينا وأصالتنا ووسائل مطامحنا.

لم أذكر ولكن سأذكر بين قوسين ما هو معقود عليه من آمال في إيجاد النفط والغاز بناحية الصويرة.

أنا شخصياً متفائل، لأن الله سبحانه وتعالى يحب العبد الملحاح، على شرط أن يكون عبداً مومناً متقيا الله ومتتبعاً لخطوات رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وفي شمائله، ولكن أملي وطيد، وأنا مؤمن بأننا سنجد في هذه السنة، وقبل متمها أي في الثلاثة أشهر الأخيرة منها ما يجعلنا متفائلين ومطمئنين من الناحية النفطية في عمالة الصويرة.

ثم لننتقل إلى ناحية الجديدة، فناحية الجديدة لا يمكن أن يقال عنها إنها صالحة لهذا دون ذاك، فيقيني أن كل عملية تجريبية هنا في هذا الاقليم ستكون عملية ناجحة، لأن جميع مقومات النجاح موجودة هنا، من الناحية البشرية، كما ينطبق على آسفي والصويرة، وأوصيكم بالتشبث بالأخلاق التي هي فيكم والتي سأحاول أن ألم بها في كلمتي.

سكان هذه الناحية فلاحون وكسابون وشغالون في آن واحد، إذا رآهم الانسان في هندامهم يعتقد أنهم سكان المدن، لأنهم جلبوا إليهم الحضارة والرفاهية والرقة والأصالة التي هي في المدن القديمة، وحينما يتتبع الانسان خطواتهم في حياتهم اليومية، في سيرهم اليومي يرى أنهم مازالوا على تلك الطهارة البدوية الطبيعية «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» التي تبشر بكل خير وتؤمن كل مستقبل.

فلهذا حضرات السادة، إن الله أعطاكم، وأعطى المغرب بواسطتكم منطقة ساحلية قلما يوجد لها نظير، وأنا أتحدى أي واحد أن يبحث في الأطلس، «الأطلس كتاب جغرافي» مساحة من الأرض في طولها وعمقها، وفي اختلاف قبائلها، ورغم اختلافهم وتباعدهم يكونون أسرة واحدة منسجمة.

فإذا كنتم واعين ومقدرين للحمل الذي هو على عاتقكم — لأن عاتق هذه الناحية مثقل بالخير الكثير — فلي اليقين بأنني سأجد فيكم من يحرك من سبات هذه الادارة، فعليكم أنتم المنتخبون حينما انتخبتم أن تجيئوا لتلحوا في الطلب على الرباط، وليس المقصود أن تأتوا إلى الرباط وتصبحوا مثل أهله، بل يجب أن تسكنوا



هنا وتتصلوا بمنتخبيكم وأن تعرفوا مشاكلهم، هذا هو المنتظر منكم.

أما المنتظر منا نحن فلست في حاجة إلى أن أقول لكم انني قررت بعون الله وقوته أن أزوركم في مثل هذا الأسبوع، وفي مثل هذا الشهر من السنة المقبلة، وهذا الموعد لا يستثنى مواعيد أخرى بالطبع، ولكن سيكون موعد امتحان بالنسبة للمنتخبين وللادارة حتى نرى هل سنكون في مستوى شعبنا ؟ وحتى نرى هل شعبنا سيكون في مستوى ما أعطاه الله من إمكانات حالية وآتية ؟ وحتى أرى أنا شخصياً هل يمكنني أن أنام ليلا، مطمئناً مرتاح الضمير حامدا لله، داعياً لشعبي بالخير والرفاهية والاستمرار فيما هو عليه. إن الله لا يخيب الظنون ولا يرد الداعين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 18 شعبان 1400 — 2 يوليوز 1980